



الروس والأميركيون يحرصون على «مبادئ» في إدارة ملف الحرب السورية، على الأقل هذا ما اجتهد الرئيس فلاديمير بوتين ل لإيحاء به، وبذل الجانب الأميركي جهداً دؤوباً لتبييد انطباع حول «عصا» روسية قيل إن وزير الخارجية جون كيري لوح بها للمعارضة السورية في الرياض.

لا جديد في دفاع بوتين عن «القيادة الشرعية» في دمشق، ولا تبدل في حديث واشنطن عن «فقدان» الرئيس بشار الأسد «شرعنته». وإذا كان الاشتباك الروسي- التركي عشية مفاوضات جنيف انعكاساً للتأزم المستمر بين موسكو وأنقرة، كما دفاع وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف عن مشاركة حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري في المحادثات، فالمضحك هو إصرار الكرملين على انه لا يتدخل في الشأن السياسي لسوريا.

نكتة ثانية سوداء في نفق النكبة السورية، أن يتحدى لافروف منْ يجد دليلاً على قتل الطيران الحربي الروسي مدنيين، خلال غاراته التي تعتمد نهج الأرض المحروقة... تدك أبنية سكنية، لكن صواريختها تميّز بين «الإرهابيين» الدواعش والأطفال والنساء الذين يلتحفون ركام وطن.

كان هدف الوزير قبيل ساعات من حسم الهيئة التفاوضية العليا للمعارضة قرارها في شأن الذهاب إلى جنيف، افتتاح عقدة جديدة في وجه الهيئة، موجّهاً في آن رسالة أخرى لا تخلو من تهديد مبطّن: التسوية تريدها موسكو نهاية. فإذا انطلق قطار المفاوضات بمن حضر، أمكن الروس اتهام الهيئة بعزل نفسها، وبرفضها إيجاد حل لما أسّ عمرها خمس سنوات... وأمكّنهم أيضاً تقديم وجوه معروفة متّهمة بعلاقة مع النظام السوري، بأنها الممثل الشرعي للمعارضين الذي سيتقاسم مع الحكم تشكيل «حكومة الوحدة الوطنية».

حقل الألغام أمام الهيئة لا يبدأ ولا ينتهي عند تمثيل حزب الاتحاد الديمقراطي، أو قبول بدء التفاوض في ظل محاصرة

النظام مدنًا منكوبة والغارات التي يتباها بها الجيش الروسي، والتخلّي عن وقف النار أولاً. ومهما فعلت واشنطن أو كيري، فالشبة الكبرى لدى فصائل معارضة عديدة هي أن التوافق الروسي - الأميركي في زيوريخ، عشية رحلة كيري إلى الرياض، يعزّز القلق من احتمالات جر الهيئة التفاوضية العليا إلى «فح» في جنيف، حيث السقف الأعلى قبول التعايش مع نظام الأسد في «حكومة وحدة»، ومصير الرئيس مؤجل، وأي إصلاح لا يمر إلا بموافقته.

قد يكون من المبالغة، بعد توضيحات المبعوث الأميركي مايكل راتني ملابسات ما حصل خلال اجتماع كيري والمنسق العام لهيئة المعارضة رياض حجاب، اتهام الوزير بـ «تواطؤ» مع لافروف الذي يدرك ما هو «منصف» وما هو «مجحف» في تشكيلاً وفق الهيئة إلى جنيف... ورغم تطمئن كيري المعارضة إلى استمرار دعمها ولو فشلت المفاوضات، فالسؤال محوره امتناع واشنطن عن تقديم أي ضمان لمن كان يفترض أن يعودوا لهيئة انتقالية في الحكم، كاملة الصلاحيات. هكذا بات مصير الأسد « شأن السوريين »، واقتلاع « الإرهاب » في بلادهم مهمة الروس، ولو سقط في غارات « السوخوي » عشرات من القادة الميدانيين الذين يقاتلون النظام.

إذاً، بات التوافق الأميركي - الروسي، بعد زيوريخ يشمل مصير الأسد الذي لم تَعد موسكو بمنحه اللجوء، ولا النظام طلبه. وإذا كان السوريون قاتلوا خمس سنوات وضحايا بربع مليون شخص، ومتلثين شُرِدوا، فكيف تستقيم «جنيف 3» وما بعدها، بعد ستة أشهر، وخصم المعارضة باقي بقوة هراوة بوتين وصواريشه؟ كم من السوريين مرشحون للإيادة بالصواريخ والبراميل، قبل أن يطمئن سيد الكرملين إلى انتصاره على «داعش»... من سوريا إلى أفغانستان وجورجيا؟ لعل كيري المتعب بجولات الاتفاق النووي الإيراني، والتطبيع الأميركي - الكوبي، وعناد بغداد الذي ضيّع الموصل في عتمة ليل، طلب من سيرغي «الرأفة» بالمعارضين السوريين بعد إقناعهم بـ «البديل المرعب» للتفاوض... في «قصص» جنيف الروسي مزيد من الغرف للوفود، وستة أشهر كافية لتفتيت أي منها.

رغم كل ذلك، موسكو «لا تتدخل» في السياسة، يقول بوتين منتشياً بتفويض الأميركي عابر للcarat. وهو حتماً لا تقلقه برامج واشنطن لتدريب المعارضة، ولا مراراة إيران التي سحب منها بساط الشام إلى حين. في أذهى فصول جنيف، حال المعارضة أنها مهما فعلت لن تمرّأ أي بند إلا إذا قبله النظام السوري، وبافتراض تنالها عن ورقة مصير رأسه. أي مفاوضات إذا؟ ستة أشهر أخرى كم ستتكلّف من القتلى الأبرياء، ودمار مدن، وتقطيع ما تبقى من أوصال وطن، بعدها تنقل من احتلال إلى احتلال؟

الكرملين لم يقل كلمته النهائية، وليس بين السيناريوات المحتملة أن ينجز مهمته مع «داعش»، ويعيد سوريا المنكوبة إلى أحضان إيران «المنتصرة» في حضن التطبيع مع الغرب.

جمهورية المرشد تتبادل الغزل مع «أعداء» الأمس، وتبني أساطيلها. تشتري طائرات «الشيطان»، فيما نشتري النعوش، ولا نحصي... في سوريا كما في العراق.